الهوية والتاريخ وتحديات العولمة

سميح حمودة*

لا جدال بأن التاريخ مكون أساسي ومهم من مكونات الهوية الجماعية لأي شعب. وتزداد أهمية هذا المكون في بنية الهوية الفلسطينية من نـواح ثلاث:

1. أن التـــاريخ الفلسطيني هـو مخـزون التجربة الجماعية للشعب الفلسطيني، وهذا المخزون يضم بين جنباته العوامـل الذاتية التي قـادت إلـى المأســاة الفلــسطينية بتجلياتهــا المختلفــة، وبالتالي فـإن الاعتنـاء بدراسته وتحليله هو سير علـى طريـق اكتـشاف الضعف الذاتي، ومن ثـم الاهتداء إلى سبل تجاوزه.

2. إن تشتت الشعب الفلسطيني عن أرضـه، وفقدانه للوحدة الجغرافية لمجموعـات سـكانه وتـشكيلاتهم الاجتماعيـة المختلفة، يجعل التاريخ المشترك أحد العناصر التي يمكن لهـا أن تحـافظ على هوية فلسطينية موحدة إلى حد ما، أي أنّه بغياب العنـصر المكـاني للهوية الواحدة تزداد أهمية العنصر الزماني/السردي في حفظ هذه الهوية.

3. أن الآخر (الصهيوني–الإسرائيلي) لا يستند فـي عدوانـه علـى الوجود الفلسطيني على الرواية التاريخية الصهيونية فقط، بل إنّـه أيـضاً ينفي أهمية التاريخ الفلسطيني، ويعمل على تهميشه وطمـسه فـي إطـار مسعاه لطمس الهوية الخاصة بالشعب الفلسطيني. وعليه تصبح عملية بناء

---

* محاضر في دائرة التاريخ والعلوم السياسية في جامعة بيرزيت.

الرواية التاريخية الفلسطينية جزءاً من العمل الوطني المقاوم وجزءاً مـن الحفاظ على الهوية وتأكيدها.

تتعرض الهوية الثقافية للشعوب الفقيرة وغير الـصناعية فـي هـذا العصر لتحد خطير تفرضه العولمة، فهي بما تملك مـن أدوات وقـدرات تستطيع الوصول إلى المواطن بغض النظر عن مكانـه وثقافتـه. وتقـوم بالتأثير على أفكاره ورغباته محدثةً تغييرات غيـر بـسيطة فـي ثقافتـه وهويته. تجادل الورقة بأن العولمة لاتاريخية، بمعنى أن آلياتها وديناميتها تهمش الوعي التاريخي للإنسان في سبيل تشييئه وتحويلـه إلـى مجـرد مستهلك، وفي سبيل دفعه نحو التخلّي عن خصوصيته الثقافية فهـي بهـذا الإطار خطر على الهوية الثقافية لهذه الشعوب، ومنها الشعب الفلسطيني.

تناقش هذه الورقة القضايا التالية:

(1) أهمية التاريخ كمكون من مكونات الهوية الفلسطينية، وتعالج بإيجـاز تعامل النخبة الفلسطينية مع هذا الجانب، وتحاول تقويم توظيف التاريخ في الحفاظ على الهوية الفلسطينية.

(2) تدرس تأثيرات العولمة الثقافية علـى الـوعي التـاريخي للإنـسان المعاصر، والفلسطيني تخصيصاً.

(3) وتناقش أخيراً مقترحات لتعزيز الهوية مـن خـلال تعزيـز الـوعي التاريخي.